# ملامح عن تأثير الدين في روسيا المعاصرة

**م.لمى مطير حسن**
**كلية الآداب/ جامعة واسط**

## المقدمة

في عالمنا اليوم هنالك العديد من المعتقدات ذات الصلة بالاتجاهات المختلفة للأديان , بالإضافة الى الديانات الرئيسية :المسيحية والإسلامية واليهودية والهندوسية والبوذية ,هنالك اكثر من مائة شكل مختلف من العبادات للأديان التي قد تكون عبادتها من قبل عدد قليل من الناس و هي موجودة على اساس (القبيلة,الانتماء,والعرق) وتعتبر النموذج الرئيس للإيمان. ونتيجة تحلل المجتمع البدائي,وظهور الطبقات والدول ظهرت اشكال جديدة من الافكار الدينية , بدأ الناس في التعرف على الارواح الرئيسة التي يطيعها الاخرون. إذ كانت هناك اساطير حول قرابة الملوك مع الالهة, ظهور كهنة محترفين و وزراء دين يستخدمون الدين في مصلحة المستغلين .

وبصورة عامة، فأن كل دين هو شكل من أشكال الموقف. فالأغلبية الساحقة من المؤمنين لا يفهمون المشاكل اللاهوتية المعقدة ، بل يشعرون ببساطة بظاهرة النظرة إلى دين معين ، ويختارون (إذا كانت هناك فرصة) هذه الصيغة الدينية التي تفي بمزاجهم النفسي. هناك تجمعات الناس على أساس وطني ، وهناك تجمعات من الناس على أساس تشابه المواقف او حضارات.

فعلى سبيل المثال, توحد الحضارة السلافية الأرثوذكسية الروس والأوكران والبلروس والصرب , أوروبا الغربية - شعوب أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية ، الذين لديهم دين كاثوليكي و بروتستانتي، وهناك شعوب متنوعة عرقياً، ولكن لديهم جميعا ثقافة مماثلة.

بالنسبة للحياة الدينية في روسيا المعاصرة كان هناك زيادة حادة في النشاط الديني، وخصوصا في تسعينيات القرن الماضي مما أدى إلى النمو السريع لمختلف الحركات الدينية. في البلاد ، انتشار الأرثوذكسية الروسية بسرعة بعد عقود من النسيان ، التي تمكنت من التغلب على الصراعات الداخلية وإيجاد نقاط القوة والفرص لاستعادة سلطتها السابقة.

كذلك إيجاد فرص للتعاون مع الدولة، لبناء العلاقات بين الكنيسة والدولة. كونها تشكل الثقافة للشعب الروسي، والكنيسة الروسية لا تزال مؤسسة عامة قوية ذات تأثير كبير في روسيا.

ان الغرض من هذا البحث :هو النظر في ملامح الوضع الديني المعاصر في روسيا .

ولتحقيق هذا الهدف تناولنا في المبحث الاول دور الكنيسة في تاريخ السياسة الروسية ,المبحث الثاني تناول عن تأثير الكنيسة على الحياة السياسية الخارجية الروسية ,اما المبحث الثالث فتناولنا عن مشاكل الوضع الديني في روسيا المعاصرة.

## المبحث الاول : دور الكنيسة في تاريخ السياسية الروسية

تعد الكنيسة الشرقية الارثوذكسية الروسية مرجعا للمسيحيين الارثوذكس في العالم هذا المذهب الذي خرج على الكاثوليكية الجامعة في روما على يد قسطنطين الاول الذي انفرد بحكم الامبراطورية الرومانية بشقيها وقرر عام ٣٢٤ م نقل العاصمة من ايطاليا الى ضفاف البوسفور وأطلق عليها اسم القسطنطينية ,وفي عام ٩٨٨ م اعتنق فلاديمير الاول (٩٨٠-١٠١٥) مؤسس روسيا التي كانت تعرف بـ (كييف روس) الارثوذكسية البيزنطية وأصبحت روسيا بعد ذلك التاريخ تتبع كنيسة القسطنطينية([١] ), وبتحولها من الوثنية الى المسيحية الارثوذكسية التي وصلتها من شرق اوروبا حيث هيمنت الامبراطورية البيزنطية فقد صيغت العلاقة بين الكنيسة والسلطة في الدولة الروسية الوليدة وفق النموذج البيزنطي إذ ترتبط الكنيسة والدولة في علاقة تناغم وانسجام , منحت الكنيسة الامير الذي سيتبنى لاحقا لقب القيصر مصدرا جديدا للشرعية بجانب القوة المادية[٢] .

في البدايات كان تأكيد البعد الديني في الهوية الروسية يهدف الى اظهار تميز الروس عن جيرانهم الوثنيين والمسلمين وكذلك تأكيد ارتباطهم بالامبراطورية البيزنطية ولاحقا اصبحت الارثوذكسية عاملا في تشكيل موقف الروس تجاه المسيحية الكاثوليكية الغربية تجلت خلال النزاعات الداخلية بين الامراء الروس والهيمنة المغولية كذلك فترة الاضطرابات (١٥٩٨-١٦١٢) الناجمة عن صراع الامراء الروس وتدخلات بولندا وايضا خلال فترة الحروب مع الدولة العثمانية التي امتدت ثلاثه قرون تقريبا ,لم يقتصر الدور التعبوي للكنيسة في دعم الدولة لاستعادة اراضي روسيا بل مكنتها من التمدد خاصة تجاه الشرق والجنوب إذ اعطت مشروع روسيا التوسعي طابعا تبشيريا في مواجهة الشعوب المسلمة التي كانت تقيم في منطقتي الفولغا شرقا والقوقاز جنوبا[٣] .

وبسبب تنوع الشعوب في الامبراطورية الروسية الى ما يزيد على مئة امة وقومية ابرزها الامة السلافية التي ينتمي اليها الروس وهم يتبعون الديانات السماوية كافة ,فمنهم المسيحيون وهم الاغلبية واالمسلمون, البوذيون واليهود وكان هذا التنوع الديني مصدر تصارع وحروب بين المجموعات التي تشكلت منها روسيا ,اضافة للصراعات الخارجية مما حدا بالامبراطورة كاترين الثانية الى ان تعلن وثيقة التسامح الديني عام ١٧٨٥ التي ظلت سارية المفعول حتى العام ١٩١٧ تاريخ سقوط الامبراطورية,كان لهذه الوثيقة الوقع الكبير داخل روسيا فغيرت من اجواء الحقد اذ ادت الى ما يشبه المصالحة الوطنية([٤] ) .

وبهذا فأن نتيجة الدور الديني الذي اضطلعت بيه روسيا حين عدتّ نفسها روما الثالثة (بعد روما والقسطنطينية) ومعقلا للمذهب الارثوذكسي في انحاء اوراسيا كافة , ما جعلها تمتلك المقوم الروحي الذي يتطلع الى السيادة العالمية والولع بالسيطرة على العالم وافتخارهم بأنهم حماة بعض الشعوب([٥]).

في بداية القرن الثامن عشر اصطدم الدور المتنامي للكنيسة الارثوذكسية بالمشروع الطموح للقيصر بطرس الاكبر إذ قام بإلغاء منصب البطريرك وانشاء مجلس لادارة الكنيسة بمشاركة موظفين حكوميين وتحديد

ادوار رجال الكنيسة وحرمان الكنيسة من الكثير من ممتلكاتها من الاراضي والتي منحتها نفوذا كبيرا في السابق[٦], ونتيجة لذلك فقدت الكنيسة دورها المستقل حتى نهاية الامبراطورية الروسية وقيام

الثورة البلشفية عام ١٩١٧ وسيطرة الحكم الشيوعي على روسيا واعلان لينين مرسوما بمصادرة املاك الكنيسة والاديرة والعائلات واعتبار ان الملك للشعب ,وان الدين "افيون الشعوب",ويعتبر هذا المرسوم هو بداية عصر العنف الثوري وان الثورة قادمة في مواجهة الامبريالية التي تجسدها الراسمالية الاحتكارية ,توفي لينين اثر جلطة دماغية عام ١٩٢٤ وخلفه ستالين اذ عمل على تحويل الاتحاد السوفيتي من بلد زراعي الى بلد صناعي ورسخ النظام الاشتراكي وقمع المعارضين للشيوعية عندما اعدم ٢٠ الف راهب وفنان بحجة اعداء الشعب وساهم في زيادة العزلة الدولية على الاتحاد السوفيتي([٧] ).

هذا الموقف العدائي تجاه الكنيسة ما لبث ان تبدل خلال الحرب العالمية الثانية وفق منطق نفعي صرف حين حرص الحزب الشيوعي على توظيف الدور التعبوي للكنيسة لدعم المجهود الحربي فأعيد منصب البطريركية وفتحت الكنائس والمدارس الدينية كما اعيد افتتاح دور الافتاء في المناطق الاسلامية[٨] وفي المقابل قدمت بطريركية موسكو عطية مالية كبيرة للجيش الاحمر السوفيتي استخدمت في شراء مجموعة من الدبابات الحربية([٩]).

تعتبر فترة رئاسة ميخائيل غورباتشوف ١٩٨٦ للسلطة ازدهار في العلاقة بينه وبين الكنيسة اذ تضمنت سياسته تسامح ديني استفادت منها الكنيسة وغيرها من المؤسسات الدينية فتوسع نشاطها وزاد الاقبال عليها خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ الذي شكل نقطة تحول جذرية في العلاقة بين السلطة والكنيسة فصدرت تشريعات تضمن حرية الاديان والعبادة وبموجب دستور عام ١٩٩٣ فأن الاتحاد الروسي دولة علمانية لا يمكن فيها انشاء دين الزامي,يتم فصل الجمعيات الدينية عن الدولة وهي متساوية امام القانون,ويحظر الدستور اي شكل من اشكال تقييد حقوق المواطنين على اساس الانتماء الاجتماعي او العنصري او القومي او الديني ويكفل لكل مواطن في حرية الدين ,وعلى هذا الاساس بدأت خطوات جديدة نحو فهم حديث للدين وبدأ دور الكنيسة يتزايد في المجتمع[١٠] .

شهدت فترة التسعينات مايشبه الانبعاث الديني في روسيا وهو مازاد من مكانة المؤسسات الدينية وخاصة الكنيسة الارثوذكسية التي بدأت تلعب ادورا اجتماعية تتجاوز دورها التعبدي التقليدي فأصبحت تحظى بالاحترام الاجتماعي مما جعل السياسيون يحرصون على الحصول على دعمها في صراعهم على السلطة ,دعمت الكنيسة ترشيح بوريس يلتسن للانتخابات الرئاسية في ١٩٩٦ من خلال التحذير من عودة الشيوعية في حال فوز منافسه غينادي زوغانوف زعيم الحزب الشيوعي ,رغم ان القانون الانتخابي يحظر مشاركة الكنيسة في الانتخابات[١١] .

في ايلول عام ١٩٩٧ وقع بوريس يلتسين الذي كان رئيسا آنذاك , قانوناً «ايدته الكنيسة الارثوذكسية الروسية». وقد منح القانون الامتياز ان تكون المسيحية الارثوذكسية دينا «تقليديا» هي والاسلام واليهودية والبوذية. وكان احد مطالب القانون ان تطلب الهيئات الدينية في روسيا تسجيلها من جديد, وبعد اقرار القانون

دعا بطريَرك الكنيسة الارثوذكسية الروسية ألكسيس الثاني الى حظر الاديان القائمة على الهداية، وخصوصا تلك التي تحاول اغراء الناس بالابتعاد عن ‹ دين اجدادهم›. ومنذ ذلك الوقت، استمرت الجهود لحظر ما دعي بالأديان القائمة على الهداية، مما ادى الى ما وُصِف بأنه «حرب دينية باردة»([١٢]).

وهكذا تدريجيا تشكلت علاقة بين السلطة السياسية والكنيسة الارثوذكسية يمكن وصفها بتبادل الدعم داخليا وخارجيا وبسبب سعي الكرملين نحو صياغه ما يشبه ايديولوجية قومية جامعه تكون بديلا للايديولوجية الشيوعية ترسم توجهات روسيا في الداخل والخارج فقد زادت فرص الكنيسة لتعزيز دورها حيث تمثل المسيحية الارثوذكسية احد المكونات الرئيسية لهذه الايديولوجية[١٣] .

اما دور الكنيسة في عهد الرئيس فلاديمير بوتين فكان متميزا من ناحية التقارب وخصوصا بينه وبين البطريك كيرليس الذي وصف الاول بانه معجزة الرب ,فمنذ اعادة انتخاب بوتين رئيسا للبلاد علت اصوات الكثيرين من رهبان وقساوسة الكنيسة الروسية بالدفاع عنه ضد مناوئيه فخلال حملته الانتخابية حصل بوتين على دعم كبير من بطريك الكنيسة الذي جعل بوتين الرجل الذي استطاع انتشال روسيا من الازمة التي دخلت فيها بمجرد انهيار الاتحاد السوفيتي واعتبره قائدا اصلاحيا ارسلته العناية الالهية لينقذ البلاد. ولاشك في ان هذه التصريحات كان لها الاثر البالغ في نفوس المؤمنين الروس مما دفعهم الى انتخاب بوتين ,في المقابل عملت الكنيسة من خلال تصريحات قساوستها على تنفير الناس من المعارضة الليبرالية([١٤] ).

وفي المقابل حاول بوتين مكافئة الكنيسة حيث تعهد خلال حملته الانتخابية على كسب ود الكنيسة والارثوذكس الروس حينما خصص ١٠ مليارات دولار لاعادة بناء اماكن العبادة وتمويل المدارس الدينية ,غير ان رئيس الدائرة البطريركية للعلاقات الخارجية في الكنيسة المطران هيلاريون طلب من بوتين عوضا عن المال ان يقطع له وعدا بحماية الاقليات الدينية في الشرق الاوسط([١٥]).

ومن هذا فأن تعاظم دور الكنيسة الارثوذكسية بات واضحا للعيان ,فاذا كانت الكنيسة الارثوذكسية حظرت في الماضي على رجال الدين التابعين لها الترشيح الى الانتخابات فانها اصدرت مرسوما عام ٢٠١١ يسمح لهم بالترشيح بهدف حماية مصالحها وهذا يدل على طموحات الكنيسة في الحياة السياسية الروسية الداخلية ,اما على الصعيد الخارجي فهناك من يؤكد وجود مقابلات تجرى بشكل منتظم بين الكنيسة و وزارة الخارجية بهدف منافسة الاجندة الروسية خارج الحدود ولاسيما بعد ان استشعر الكرملين حاجته الى المواقف الداعمة من الكنيسة في بعض القضايا الخارجية كقضية الاقليات الارثوذوكس في الشرق الاوسط,وخصوصا الازمة السورية و دعمها لسوريا واصفة اياها بالقضية المقدسة, التي تبين فيها حقيقة تدخل الكنيسة الروسية مباشرة في السياسات الخارجية لروسيا([١٦]).

## المبحث الثاني:تأثير الكنيسة على السياسة الخارجية والداخلية الروسية

كانت السياسة الخارجية في عهد الاتحاد السوفيتي مبنية على منطلقات ايديولوجية ومصالح القوة العظمى وتحتكرها الاجهزة العليا في الحزب الشيوعي وبتفكك الاتحاد السوفيتي انتهى دور الايديولوجية وحلول النزعة البرغماتية في تحركات روسيا على الساحة الدولية ,إذ بينت دراسات مختلفة ان السياسة الخارجية

الروسية هي نتاج لعدة محددات تشكلت خلال مرحلة تفكك الاتحاد السوفيتي وتبعاته المؤلمة على روسيا سواء ما يتعلق بهويتها القومية او مكانتها الدولية وصورتها كقوة عسكرية عظمى بعد ما واجهته من صعوبات خلال التسعينيات في حربها ضد الاقلية الشيشانية كما تشير الدراسات الى تأثير المؤسسة العسكرية والكنيسة وجماعات القوى الضاغطة على صناعة القرار السياسي[١٧].

أما بالنسبة لدور الكنيسة وتأثيرها على السياستين الخارجية والداخلية الروسية فقد بان واضحا للعيان من خلال حفل اقامته الكنيسة الارثوذكسية بمناسبة مرور ست سنوات على تولي البطريك ألكسي الثاني أثنى وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف على دور الكنيسة في الدفاع عن حقوق المواطنين الروس المقيمين خارج روسيا ودورها في تأكيد مبدأ التنوع الحضاري في العالم المعاصر,واستمرار التوصل والتعاون بين الكنيسة و وزارة الخارجية واصفا التعاون بأنه تقليد عريق في الدبلوماسية الروسية [١٨] , كذلك تصريحات الرئيس فلاديمير بوتين في خطابه السنوي امام مجلس الاتحاد (المجلس الاعلى في البرلمان)في ٢٠١٣ اذ انتقد النزعة نحو ما وصفه بتدمير القيم التقليدية بأسم حرية الفكر والاراء مؤكدا توجيهات روسيا لحماية هذه القيم والتي تعد الاساسي الروحي والاخلاقي للحضارات وهذا ما يؤكد حضور الرؤية الدينية .

اما ابرز الخطوات التي تؤكد تنامي البعد الديني في السياسة الخارجية الروسية تجاه الشرق الاوسط فتتمثل في اعادة احياء الجمعية الامبراطورية الروسية الفلسطينية والتي تأسست قبل اكثر من ١٣٠ سنة وجاء انشاؤها في اطار التنافس الدولي على بلاد الشام في القرن التاسع عشر حيث تبنت القوى الكبرى انذاك دعم الاقليات الدينية وحمايتها وتقديم الدعم للكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية والارثوذكسية من خلال القنصليات في القدس ,اما بالنسبة لمهامها في الوقت الحاضر هو العمل على دعم جهود الدولة الروسية في منطقة الشرق الاوسط في كافة المجالات الدبلوماسية والعلمية والثقافية والدينية ,ولعل المؤشر الاكثر اهمية على علاقة الجمعية بالسياسة الخارجية الروسية هو كون نائب وزير الخارجية والمبعوث الخاص للرئيس الروسي للشرق الاوسط ميخائيل بوغدانوف يتولى منصب نائب رئيس الجمعية وشارك ضمن وفد الجمعية في عام ٢٠١٤ في زيارة للفاتيكان لعرض مأساة المسيحيين في سوريا[١٩] .

مع بدء روسيا عملياتها العسكرية في سوريا في الثلاثين من سبتمبر ٢٠١٥ نقلت وكالة انترفاس الروسية للانباء عن رئيس قسم الشؤون العامة في الكنيسة (فسيفولود تشابلن) تصريحا بأن "القتال في سوريا ضد الارهاب هو معركة مقدسة وربما تكون بلادنا هي القوة الانشط في العالم التي تقاتله"[٢٠] , وهذا ما يؤكد حضور البعد الديني في التحرك الروسي الخارجي فمباركة الكنيسة للتدخل العسكري تاكدت مرة اخرى من خلال بيان صدر بعد اسبوعين من التدخل عبر فيه البطريرك عن دعمه للتدخل العسكري مبررا ذلك بفشل العملية السلمية في انهاء الصراع ما استدعى توفير الحماية العسكرية للمدنيين وخصوصا المسيحيين .

وفي محاولة لفهم حضور الكنيسة (العامل الديني والروحي حسب لغة المسؤلين الروس) في السياسة الروسية لابد من ذكر اسباب هذا الحضور وهي:

-ان تأكيد القيادة الروسية ان روسيا قوة كبرى وشريك رئيس في ادارة الشؤون الدولية يستوجب استحضار التاريخ الروسي المليء بالموروث الديني ,إذ ان متطلبات لعب دور القوة الكبرى لاتقتصر امتلاك مقدرات مادية عسكرية وبشرية بل هناك حاجة الى رسالة تمنح روسيا حساً رسالياً يكون مباركاً لتحركاتها في مختلف مناطق العالم.

-إيمان القيادة الروسية بمفهوم التنافس الدولي لا يقتصر على تحقيق المصالح السياسية والاقتصادية بل يشمل الترويج لأنظمة قيمية ونماذج حضارية ما يمنح الكنيسة الارثوذكسية فرصة للتأثير ,خاصة قناعة النخب الروسية بفكرة أن روسيا تمثل نموذج التعايش الديني والحضاري.

## المبحث الثالث :مشاكل الوضع الديني في روسيا المعاصرة

تعتبر روسيا دولة متعددة القوميات اذ نص دستورها لعام ١٩٩٣ " نحن شعب روسيا الفدرالية المتعددة القوميات " ,يبلغ عدد سكانها ١٤٢ مليون و ٢٠٠ الف نسمة حسب احصاءات عام ٢٠١٢ فيها ١٣٠ جماعة عرقية وتعد القومية الروسية العدد الاكبر ب ١١٦ مليون نسمة اي قرابة ٨٠ في المئة من عدد السكان, اما من حيث الديانة فروسيا متعددة الديانات وهناك اكثر من ٦ الاف طائفة او تجمع ديني مسجلة في روسيا, لكن المسيحية الارثوذكسية غالبة تليها الديانة الاسلامية ١٤ في المئة , إذ إن للإسلام في روسيا تاريخ طويل يعود لأكثر من (١٤٠٠) سنة، فقد اعتُنِق الدين الإسلامي في منطقة حوض الفولغا رسميًا قبل قرن من إعلان الأرثوذكسية دينًا لروسيا، والإسلام الآن و هو الثاني في البلاد من ناحية عدد معتنقيه, ثم البروتستانتية التي يقدر عدد افرادها ب مليونين في حين يمثل اليهود ٢ في المئة من عدد سكانها([٢١]).

ولتوضيح الوضع الديني المعاصر في روسيا قام العلماء الروس بدراسات اجتماعية إذ قام مركز "الدين في المجتمع الحديث" التابع لمعهد البحوث الاجتماعية للاكاديمية الروسية للعلوم وبتوجيه من البروفسور مشيدلوفا استطلاع للرأي عام ٢٠٠٠ , شمل ١٨٠٠ شخص فوق سن الثامنة عشر,اظهرت نتائج تحليل الخصائص الاجتماعية الديموغرافية :

-الايمان اكثر انتشارا بين النساء وخصوصا ذوي التعليم العالي.

-في مجال العمل فأن نسبة المؤمنين متساوية مع الملحدين او قليلي الايمان.

-بالنسبة للخصائص الاجتماعية والديموغرافية للمسلمين هناك بعض الاختلافات: نسبة الرجال اكثر في الايمان مع مستوى تعليم ادنى وتفضيل العمل على التعليم.

بناء على ما تقدم لوحظ وجود نسبة قليلة وفئات قليلة من المؤمنين على مستويات محددة ,لذا كان لدى كارجين عالم الاجتماع الروسي تساؤلا حول عدم مشاركة نسبة كبيرة من السكان الذين يعتبرون انفسهم مؤمنين في الانشطة الدينية وعلى هذا الاساس اجريت في بداية عام ٢٠٠٠ دراسة استقصائية تحت عنوان " لماذا لا اكون في الكنيسة" وقد اوضحت الدراسة اهم العوامل التي تؤثر على المواطن منها:

-ان الكنيسة لاتعطي الثقة اذ لديها الكثير من عدم الصدق والصراعات وتدخلها في السياسة.

-القناعة بامكان ان يبقى الشخص مؤمنا بدون مشاركة في الانشطة الدينية الكنسية.

-العمالة ,اذ الكثير منهم يعملون لساعات طويل ولايجدون الوقت الكافي لممارسة الانشطة الدينية.

لذلك فان الغالبية من المسيحيين الروس لايحضرون الكنيسة بانتظام وذلك لاسباب داخل الكنيسة نفسها اذ يجب ان يكون داخل الكنيسة الصدق والاخلاص ونبذ التعصب وان يكون الاب شخص جدير بالثقة ومهتم باحتياجات الناس, اذ اظهرت الدراسات ان معظم الكنائس الروسية ليست مستعدة لتنفيذ الاصلاحات الداخلية, اضافة الى تأثير الوضع الاقتصادي في البلد الذي لايترك اي وقت للمؤمنين لممارسة حياتهم الدينية([٢٢]).

وفي دراسات اخرى قام مركز روسيا لدراسة الراي في ١٢ ايلول عام ٢٠٠٧ استطلاعات استباقية شارك فيها ١٦٠٠ مشارك من ١٥٣ تجمع و ٤٦ منطقة واقليم وجمهوريات روسيا وكان الغرض من هذه الدراسات هو دراسة موقف الروس تجاه الدين وتقييم دوره في المجتمع الحديث والعلاقة بين الكنيسة والدولة.

استنادا الى البيانات فأن نصف الروس مؤمنين ١٠% منهم يحضرون بانتظام للكنيسة ويعملون جميع الطقوس , ٤٣% يذهبون للكنيسة فقط في ايام العطل والاعياد ,٣١% يقبلون وجود الله لكنهم ليسوا مهتمين بحياة الكنيسة ,ويشكل الملحدون ٦% ,اما نسبة ٨% فهم اصلا لايفكرون في الدين.

يتوجه الناس الى الدين كجزء من التقليد الوطني اذ يرون في الايمان المثل الاخلاقي ,في ديسمبر ٢٠٠٦ اظهرت بيانات فيتسوم ان كقاعدة عامة كلما ارتفع مستوى التعليم كان في صالح الجوانب الاخلاقية والثقافية للدين. لكن في عام ٢٠٠٧ وفقا لبيانات فتسيوم انكر الروس دور الكنيسة في اعطاء القيم الاخلاقية للجيل الاصغر سنا ,اذ ٤% فقط هم اعتبروا ان الكنيسة مصدر القيم الاخلاقية .

ومن ناحية اخرى لو قارنا نتائج المسوحات لعام ٢٠٠٦-٢٠٠٧ مع نتائج دراسات فورمان و كاريانيين لعام ١٩٩٩ الواردة في كتاب "الكنائس القديمة ,المؤمنين الجدد : الدين في الوعي الجماهيري لروسيا بعد الاتحاد السوفيتي " فأن عدد الناس الذين لايحضرون الكنيسة ارتفعت من ٤٥% لغاية ٥٩% ,اما نسبة الذين يذهبون للكنيسة مرة واحدة في السنة من ٢٩% لعام ١٩٩٩ الى ١٦% في عام ٢٠٠٧ [٢٣].

واذا انتقلنا الى معيار التدين الثقافي في روسيا نجد ان الشخص يعلن انتمائه الى تقليد ديني معين على الرغم من انه ربما لا يشارك عقائدها ولا في طقوسها ولا ينتمي الى المجتمع الديني,اذ ان مجرد التاكيد على الانتماء لتيار ديني معين هو امر مهم بالنسبة للتوجه السياسي والثقافي للمواطن.

ان اهم عنصر فلسفي في الوعي الديني للروس هو الايديولوجية العلمية الزائفة بالاعتقاد في وجود اجسام وقوى غريبة وكذلك الاعتقاد بعلم التنجيم ويأخذ نسبة ٦٠% من سكان المدن بالاضافة الى البيئة الايديولوجية المسيحية الارثوذكسية التي تغطي غالبية الروس.اذ يعتقد علماء الاجتماع ان اهمية العامل الديني في مجتمع علماني اذ يصبح الايمان رمزا ثقافيا للكثيرين .

وفي مقال ل يوليا يوريفنيا " ديناميات عملية الكنيسة الارثوذكسية عام ٢٠٠٦ " يلاحظ انه في السنوات الخمس الماضية في روسيا كان هناك نمو بطئ في عدد الناس الذين يؤمنون بالكنسية والرب

وانخفاض عدد الغير مؤمنين او الذين يؤمنون بالقوى الخارقة " ,وعلى ذلك الاساس عقدت مؤتمرات وندوات عديدة لإيجاد طرق لحل هذه المشاكل الدينية ومنها مؤتمر ٢٨ نيسان ٢٠١٣ في معهد اوربا التابع للاكاديمية الروسية للعلوم اذ تناول هذا المؤتمر عدة محاور من بينها المشاكل الدينية وتنوع الاديان والدور المتزايد للدين في المجال السياسي([٢٤] ).

لكن مشاكل الدين في روسيا المعاصرة لا تقتصر على المسيحيين وانما تفاقم الصراع بين المسلمين والكنيسة الشرقية الارثوذكسية بسبب الاختلاف المذهبى أو الدينى بينهم. وفى الوقت الحاضر، فإن صراعات عنيفة بين المسيحيين والمسلمين فى مناطق عديدة فى العالم تتزايد بحدة وعنف، فالتناقضات والصراعات بين المعتقدات والطوائف الدينية المختلفة قد أصبحت سببا هاما لإشعال الصراعات العرقية. وفى نفس الوقت، فقد أصبح الدين وسيلة فعالة يستخدمها الانفصاليون الوطنيون لتحقيق أهدافهم السياسية. ففى منطقة الشيشان مثلاً وبالتلويح براية الإسلام، فإن القادة الانفصاليين الوطنيين مشغولون فى أنشطة انفصالية ويوجهوا المسلمين عن طريق استغلال مشاعرهم الوطنية لمواجهة الروس الذين يؤمنون بالكنيسة الارثوذكسية الشرقية محاولين فصل مناطق شمال القوقاز المسلم كلها عن روسيا ليؤسسوا دولة إسلامية تكون الشيشان مركزها.

وبذلك فإن زيادة المشاكل العرقية خاصة أنشطة القوى المتعصبة يشكل تهديداً فورياً لاستقرار وأمن البلاد ويشعل فتيل الاضطرابات فى المجتمع ويمنع الشعب من العيش حياة طبيعية فى أمن وسلام. فالانفجارات فى موسكو وبعض المدن الأخرى التى فجرها الشيشانيون قد سببت إصابات واسعة فى المواطنين الأبرياء ودمرت بشدة الحياة السلمية للشعب الروسى، كما دمرت النظام الاجتماعى.

## الخاتمة

أن بلد مثل روسيا متعدد الاديان لكن الغالبية العظمى من سكانها هم من معتنقي المسيحية الارثوذكسية منذ زمن بعيد وتعد اكبر كنيسة شرقية ,إذ تعرضت للاضطهاد في ايام القياصرة ولكن بعد الثورة البلشفية عام ١٩١٧ انتقلت روسيا الى السيطرة الكاملة على الايديولوجية الشيوعية المناهضة للدين ,وتغير الحال بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ إذ سعت نحو سيطرة الايديولوجية الكنسية ,اعتقد الكثير من علماء الاجتماع ان الفجوة بين الدور الهائل للدين وضعف التدين سوف تتكثف وقد تؤدي في المستقبل الى رد فعل مناهض للدين ,وهكذا فأن سكان روسيا اليوم يتميزون بنوع استقرائي او مبسط من التفكير الديني وبنسبة صغيرة فقط يختارون مسار استقطابي متحفظ فالغالبية من المسيحيين الروس لا يحضرون الكنيسة بانتظام لاسباب ناتجة عن ازمة عميقة داخل الكنيسة فالناس بحاجة الى مزيد من الانفتاح والمرونة والتسامح وخصوصا ان معظم الكنائس الروسية ليست مستعدة لتنفيذ الاصلاحات الداخلية في الوقت نفسه لايمكن ان نتجاهل تأثير الوضع الاقتصادي في البلد مما يؤثر على الحياة الدينية.

لكن في الوقت نفسه لا يمكن تجاهل دور الكنيسة في تاريخ روسيا المعاصر وتحديدا في عهد فلاديمير بوتين فخلال حملته الانتخابية حصل بوتين على دعم كبير من بطريرك الكنيسة كيرليس الذي اعتبره منقذ البلاد وفي المقابل عمل بوتين على كسب ود الكنيسة والارثوذوكس الروس.

من هذا كله يتبين لنا امكانية تعاظم الدور السياسي الذي ممكن ان تضطلع به الكنيسة الارثوذوكسية الروسية داخليا وخارجيا في المستقبل ,وذلك من خلال امكانية ترشيح رجل الدين لمناصب سياسية بعد الحصول على دعم المجتمع الكنسي المقدس ,اما على الصعيد الخارجي فهناك المواقف الداعمة من قبل الكنيسة في بعض القضايا الخارجية ومنها قضية الاقليات الارثوذوكسية في الشرق الاوسط, وخصوصا الازمة السورية ,إذ ينبين من خلال تصريحات متكررة لمسؤولين حكومين وكذلك لقيادات كنسية ومن انشطة الكنيسة ان العامل الديني له نصيبه في تشكيل الرؤية الروسية للصراع في سوريا, فروسيا اليوم تشعر بتحمل مسؤولية حماية المسيحيين في الشرق الاوسط امتداداً لدورها التاريخي وكذلك بسبب تخلي الحكومات الغربية عنهم نتيجة حسابات سياسية واستراتيجية من جهة وهيمنة القيم العلمانية , هذا الدور لا يقتصر على حماية المسيحيين بل يتجاوزه الى حماية الدين المسيحي ايضاً .

**المصادر و الهوامش**


١- ريمون شارل,الهلال الشهيد,مصير الاسلام في ظل الانظمة القيصرية والسوفياتية,المعهد الدولي للبحوث الشرقية,باريس,١٩٦٢,ص٢٤

٢- Timothy Ware, The Orthodox Church: An Introduction To Eastern Christianity , London : Penguin Books Limited (١٩٩٣)

٣- Marc Szeftel, “Church And State In Imperial Russia” In Russian Orthodoxy Under The Old Regime (Robert L. Nichois And Theofanis George Stavrou (Ed.) Minneapolis: University Of Minnesota Press ( ١٩٧٨) Pp.١٢٧-١٣٩

٤-ريمون شارل,مرجع سبق ذكره,ص٣٢

٥-عاطف معتمد عبد الحميد ,استعادة روسيا مكانة القطب الدولي:ازمة الفترة الانتقالية,اوراق الجزيرة,١٢(بيروت:الدار العربية للعلوم ناشرون,مركز الجزيرة للدراسات,٢٠٠٩) ,ص١٢٣-١٢٤

٦-Marc Szeftel, “Church And State In Imperial Russia” In Russian Orthodoxy Under The Old Regime (Robert L. Nichois And Theofanis George Stavrou (Ed.) Minneapolis: University Of Minnesota Press ( ١٩٧٨) Pp.١٢٧-١٣٩

٧-ناصر زيدان ,دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا من بطرس الاكبر حتى فلاديمير بوتين ,الدار العربية للعلوم ناشرون,٢٠١٣,ص٨٨-٨٩

٨- Roger Reese, “The Russian Orthodox Church And ‘Patriotic’ Support For The Stalinist Regime During The Great Patriotic War”, War& Society Vol.٣٣ #٢(٢٠١٤)

٩-ابراهيم بولمكاحل,"تأثير تحولات ومتغيرات البيئة الداخلية على السياسة الخارجية الروسية نحو الاتحاد الاوربي لفترة مابعد الحرب الباردة"(مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية,جامعة الحاج لخضر,باتنة,٢٠٠٨-٢٠٠٩)ص٩٣

١٠- المادة (١٤) دستور الاتحاد الروسي الصادر ١٩٩٣

Https://Www.Constituteproject.Org/Constitution/Russia_٢٠١٤.Pdf?Lang=Ar

١١-المادة (١٤) دستور الاتحاد الروسي الصادر ١٩٩٣

Https://Www.Constituteproject.Org/Constitution/Russia_٢٠١٤.Pdf?Lang=Ar

١٢-Гараджа В.И., Руткевич Е.Д. (ред.). Религия и общество. Хрестоматия по социологии религии. - М.: Наука, ٢٠٠٨.с١٨

١٣-Walter Laqueur, “After The Fall: Russia In Search Of A New Ideology”, World Affairs, March/April ٢٠١٤,Http://Www.Worldaffairsjournal.Org/Article/After-Fall-Russia-Search-New-Ideology

١٤-Радугин А.А. Введение в религиоведение: теория, история и современность. - М.: Инфра, ٢٠١٠.c٧٨

١٥- بولمكاحل,المصدر نفسه,ص٩٥

١٦- إميل أمين,"الكنيسة الارثوذكسية.هل توجه الحياة السياسية الروسية",الشرق الاوسط في ٢٠-٢-٢٠١٢

http://archive.aawsat.com/details.asp?section=١٧&article

١٧- Nikolas K. Gvosdev, Christopher Marsh, Russian Foreign Policy :Interests, Vectors, And Sectors, London: Sage Publishing

١٨- Ministry Of Foreign Affairs Of The Russian Federation, Opening Remarks By Foreign Minister Sergey Lavrov At Press Conference After Tenth Meeting Of Working Group On Mfa-Russian Orthodox Church Interaction, Moscow, November ٢٠, ٢٠٠٧,

١٩- "العرب "ميخائيل بوغدانوف حارس نفوذ الإمبراطورية الروسية في الشرق...٤٢=Http://Www.Alarab.Co.Uk/?Id

العربية " الكنيسة الروسية: بلادنا تقود "معركة مقدسة" في سوريا"٢٠-

Http://Www.Alarabiya.Net/Ar/Arab-And- ٣٠/٠٩/٢٠١٥

٢١- نورهان الشيخ,صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية-الروسية(بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية,١٩٩٨)ص١٦

٢٢- Элиаде М. Священное и мирское. -М.: Знания, ٢٠١٠.

٢٣-Элиаде М. Священное и мирское. -М.: Знания, ٢٠١٠.

٢٤- Тайлор Э.Б. Первобытная культура. - М.: Академия, ٢٠١١.